

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

SOCIÉTÉ EGYPTIENNE D'ÉTUDES HISTORIQUES

# المجلة التاريخية المصرية

تصدرها الجمعية مرتين في السنة ويشرف على تحريرها  
محمد شفيق غربال نائب رئيس الجمعية ووكيل وزارة المعارف سابقاً  
ومحمد مصطفى زيادة عضو مجلس إدارة الجمعية وأستاذ  
تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة  
والقائمقام عبد الرحمن زكي عضو مجلس الإدارة

مايو  
سنة ١٩٥١

المجلد الرابع  
العدد الأول

تطلب المجلة من الجمعية والمكتبات الرئيسية  
وثنى العدد ٣٥٠ ملياً

جزء  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ

## محتويات العدد

### بحوث

صفحة

- ١ - نشأة المسألة المصرية في السياسة الرومانية ٨٠ - ٥١ ق. م . . . . . محمد عواد حسين . . . . . ١
- ٢ - المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية . . . . . حسين مؤنس . . . . . ٤٥

### دراسات متنوعة ومحاضرات

- ٣ - الواحات المصرية في التاريخ . . . . . أحمد فخرى . . . . . ١٧٧
- ٤ - نهاية السلاطين المماليك في مصر . . . . . محمد مصطفى زيادة . . . . . ١٩٧
- ٥ - السودان والحبيشة . . . . . محمد محمود الصبياد . . . . . ٢٢٩

### نقد الكتب

- ٦ - فضائل الشام ودمشق . . . . . تحقيق صلاح الدين المنجد - نقد محمد مصطفى زيادة . . . . . ٢٤٧
- ٧ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب . . . . . نشره جمال الدين الشيال - نقد محمد مصطفى زيادة . . . . . ٢٥٢
- ٨ - القوة البحرية والتجارة في البحر المتوسط فيما بين عامي ١١٠٠,٥٠٠ م . . . . . لارشيبالد لويس - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي . . . . . ٢٥٨
- ٩ - أطلس التاريخ الإسلامي . . . . . هاري . و . هازارد - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي . . . . . ٢٦١
- ١٠ - المسألة السودانية والوثائق البريطانية . . . . . للأستاذ عبد المنعم عمر - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي . . . . . ٢٦٣
- ١١ - مقياس النيل في جزيرة الروضة . . . . . كامل عثمان غالب - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي . . . . . ٢٦٤

ابن واصل  
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب  
نشره

جمال الدين الشيال

(مطبوعات إحياء التراث القديم ، وزارة المعارف ، القاهرة ١٩٥٣م)

لهذا الكتاب الكبير قصة طويلة طيبة ، حميدة المطاف والخاصة على غير المألوف في نشر الكتب الكبرى ، لأن النشر ليس إخراجاً سريعاً لمادة مخطوطة في ثوب مطبوع ، بل عملية تؤدّى صابرة مثابرة ، ذات أدوار لا يطيحها إلا العارف بأهمية المتون السليمة في التأليف الجدير بالقارئ العربي الجليل . وهذه الأدوار هي إحصاء النسخ المعروفة من المخطوطة المزموعة للنشر ، ثم قراءة هذه النسخ مقابلة بعضها إلى بعض ، ثم اعتماد أحسنها أصلاً للنشر ، وتهذيب هذه التي هي أحسن في تقدير الناشر بتوضيح غامضها ، وتكميل ناقصها ، وتنوير مجهولها بالخواشي الضرورية . وهذا وذاك يتطلب من الناشر معرفة مفهومة بمختلف منابع والمراجع في التاريخ والجغرافية واللغة ، والآثار والطبوغرافية كذلك . وتوفرت هذه المعرفة لناشر هذا الكتاب ، كما توفرت له مؤهلات النشر كلها بعد مران مشهود به فيما قدم هو للمكتبة العربية من مؤلفات المقرئ الصغرى ، وهو بقيامه على نشر مفرج الكروب لابن واصل جعل المعنيين بالتاريخ المصرى في العصور الوسطى مدنيين له بدين ضخم .

قرأت المخطوطة الباريسية من هذا الكتاب تلميذاً مبتدئاً يطلب المعرفة بباريس ، ففبرت عليه عبور الطالب الذي لم يجد فيه مادة بعمله الراهن وبحته وقتذاك ، فلم أستمّد منه جزايات مكتوبة ، ما عدا جزايدة واحدة سجلت فيها اسم مؤلفه وعنوانه وعدد صفحاته وموضوعه ؛ وتوكلت على الصدفة أن أرى هذه المخطوطة مرة أخرى . لكنى عجبت لأجيال المستشرقين إهمالها هذا الكتاب

برغم وجود نسختين في باريس من مخطوطاتها الأربع التي أحصاها الناشر لعمله فيما بعد ، وبرغم نسبة الكتاب إلى مؤرخ شهد أيام الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ، وعمل في الدولتين قاضياً ، وسفر للسلطان بيبرس سفارة إلى الإمبراطور مانفرد بن فردريك الثاني في صقلية ، وعاش في هذه الجزيرة مدة أنجز أثناءها كتاباً في المنطق اسمه الأنبرورية . وعجبت كذلك أن مصرياً أو شامياً ممن عرف المكتبة الأهلية بباريس في سالف السنين لم يلتفت إلى هاتين المخطوطتين ، أو إحداها على الأقل ، والناشر يشاركني هذا العجب في مقدمته ( ص ٢٠ ) ، ولعل غلط التسمية في المخطوطتين الباريسيتين هو السبب في احتجاب هذا الكتاب عن عيون المنصرفين للنشر ، حتى أواسط القرن العشرين الميلادي .

ثم مضت بضع سنوات ، وأخذت أعمل في نشر كتاب السلوك للمقرئزي ، واحتجت إلى كثير مما لم يكن متوفراً بمصر وقتذاك من المراجع وأدوات البحث ومنها المخطوطتان الباريسيتان لمفرج الكروب ، فحصلت دار الكتب المصرية على صور شمسية منهما لأجل خاطري . ثم عرفت بعد ذلك أن نسخة مخطوطة ثالثة في كامبردج بإنجلترا ، فحصلت المكتبة العامة بجامعة القاهرة على صور منها كذلك ، وصار بمصر عدد كافٍ من النسخ المتماثلة للنشر ، فدعوت وتمنيت أن تلقى دعوتي مجيباً ذا أهلية علمية كافية . ثم رأيت نسخة رابعة في إسطنبول ، وهي التي حصلت عليها المكتبة العامة بجامعة الإسكندرية للدكتور جمال الدين الشيال ، بعد أن عقد النية على النهوض بهذا العمل ، وهي أقدم النسخ الأربع وأعظمها قيمة ، وأصلحها أن تكون أصلاً للنشر ، لولا أنها قطعة من مخطوطة ابن واصل ، تنقصها محتويات هذا الجزء الأول المعروض في هذه السطور ، فضلاً عن معظم محتويات ما سوف يكون الجزء الثالث من هذا التأليف الحافل .

الواقع أنه ليس بين النسخ الأربع التي استأداها الناشر نسخة واحدة كاملة من مفرج الكروب ، ولكنها تكمل بعضها بعضاً . وتعيّن على الناشر بسبب ذلك أن يلجأ إلى عملية إضافية في النشر ، وهي عملية التوفيق والوصل والتعشيق ، مع الحرص على الربط الفني بين قطع المتن ، والدأب على الرجوع إلى المراجع المعاصرة إمعاناً في الاطمئنان ؛ والناشر لهذا كله زعيم بثناء عاطر كثير . ( انظر ص ١٣ - ١٧ من المقدمة ) .

وبعد فهذا كتاب طويل زاخر ، وإنى أهنيء بطبع الجزء الأول منه صديقى الذى لزمنى أيامه الأولى تلميذاً بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم لزمنى أيامه الثانية زميلاً بالتعليم الجامعى ، وسوف أغتبط لأيامه الثالثة حين ينتهى من عمله الصامت الجيد فى سبيل إمداد المؤرخين المصريين — وغير المصريين — بجميع أجزاء مفرج الكروب ، على غرار هذا الجزء الأول ، من دقة التحرير ووضوح الحاشية ، فى غير حساب لوقت . وإذ أثار الناشر فى مقدمته إلى قيامى على مراجعة هذا الجزء الأول وما بعده قبل تقديمه للمطبعة ، فلا أراى صالحاً لاستعراضه أو نقد طريقته فى روح موضوعية إلا بمقدار . على أنى أستطيع التعوض عن هذا التقيد بالتنويه إلى ما يحتوى عليه هذا الجزء الأول من حقائق لم تكن معروفة إلا فى المراجع المتأخرة التى استمدت من ابن واصل ، دون ذكر اسمه معظم الأحيان ، ومنهم المقرئى نفسه فى الجزء الخاص بالأيوبيين من كتاب السلوك . ثم إنى لست متحرجاً أن أطرى الناشر على عمله الذى يظهر واضحاً ناضجاً كل النضج فى هذا الجزء الأول ، كما أنى لست متحرجاً أن أدله على بعض ملحوظاتى رغبة فى إخراج الجزء الثانى شبيهاً بأخيه الأول ، من حيث الإمعان فى التهذيب والترتيب والتحشية ، فضلاً عن مجانى التجربة . وهذه الملحوظات هى أن تكون مقدمة الجزء الثانى أبجدية العدد ، حتى لا تختلط أرقام صفحاتها بأرقام صفحات المتن ، وأن تكون الحواشى أكثر قصداً واختصاراً مما هى فى بعض صفحات هذا الجزء الأول ( انظر ص ٥٦ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ) . الواقع أن دستور النشر أضحى صارماً فى تطبيق مبدأ القصد والاختصار فى الحواشى ، بحيث لا تشغل الحواشى من الصفحة الواحدة إلا ثلثها على الأكثر ، ليظل الثلثان على الأقل للمتن ، وليظل المتن واضحاً للقارئ . على أن هذه الملحوظة بالذات هى مما أستطيع توجيهه إلى نفسى بشأن بضع صفحات معروفة لى من الجزء الأول من كتاب السلوك للمقرئى ، وهى ملحوظة تعلمتها من تجارب العمل فى النشر .

ثم إن فى استطاعة الناشر دائماً أن يوفر من جهوده باجتناب الوقوف عند ألفاظ أضحت فى مصطلح التاريخ المصرى معروفة سهلة الوصول إليها فى حواشى

المرحوم محمد رمزي في النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ، وحواشي السلوك للمقرئزي .  
وتكفي الإشارة إلى مواضع هذه الحواشي ، كما دأب الناشر دأباً حميداً في هذا  
الجزء الأول ، إلا إذا جدت لديه معلومات إضافية يقتصر هو على إيرادها في  
حواشيه ، وينفرد لذلك بفصل التجايز ، والإضافة إلى المعرفة التاريخية .  
( انظر ص ١٤ ، ٢١ ، ١٠٢ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ) . وبهذه الطريقة  
يستطيع الناشر أن يسلط من ضوء معرفته على ما عساه يكون جديداً من الألفاظ  
الاصطلاحية ، مثل الدينوز ، وقلم دقيق ، وقلم بجاني ، والجلمات . ( ص ٤٩ ،  
٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ على التعاقب ) .

وبالكتاب عدد من الأخطاء المطبعية التي لا سبيل إلى اجتنابها في معظم  
المطبوعات المصرية ، مهما بذل الناشر من جهد في الأصول والبروفات ، لأن  
الغلطات المطبعية لا تزال في مصر من الهفوات المغتفرة المنتظرة . ومن هذه  
ما يلي في صورته الغالطة ثم الصحيحة

ص ٣	كمصدر أساسي	مصدراً أساسياً
» ٤	سنوات طويلة	بضع سنوات
» ٦	التصنيف	التفصيل
» ١٣	ينقصه	ينقصها
» ١٤	السلام	السلام
» ١٥	أربعة (ثمانين)	أربعة [ثمانين]
» ١٧	مياقارقين	مياقارقين
» ١٨	بل وأثار	بل أثار
» ٢٢	يا غيسيان	ياغى سيان
» ٣٦	انظر ما فات	انظر ما تقدم

هذه ملحوظات قليلة ، وليس فيها ما يستطيع أن يكون مأخذاً على الناشر ،  
مع العلم بأن في هذا الجزء الأول متناً وحاشية ما هو محمودة له ، ومدرسة لمن  
يريد دراسة تطبيقية بالحجان في النشر . مثال ذلك تقرير الناشر ( ص ٢٦ ، ٣٧ ،

٤٠ ، ٤٣ ، ٨٢) عدم استطاعته أن يجد تعريفاً لمكان من الأمكنة ، أو تحقيقاً لاسم من الأسماء ، أو شرحاً للفظ من الألفاظ ، دون أن يجد غضاضة في ذلك ، لأن المراجع لا تسعف الناشر دائماً ، والناشر مشكور على هذا النوع من الحاشية ، إذ يبرهن بها أن المتن أهم لديه من الحاشية ، والمضى في العمل الشامل خير من الوقوف عند الحذف المستعصية . ثم إن الناشر حرص كل الحرص ( ص ١٣ ، ١٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ) على ذكر المساعدات الفنية التي تلقاها من مختلف الأشخاص ، وهو كذلك مشكور هنا على هذا النوع من الاعتراف بضرورة التعاون بين القائمين على النشر في بلاد العربية .

أما مواضع الأهمية في هذا الجزء الأول من ابن واصل ، وهي مواضع عمد الناشر إلى التنويه بها تنبيهاً للقارئ المستفيد ، فكثيرة معروفة للباحثين العارفين بمراجع التاريخ المصري ، ولكنهم سوف يقرأونها هنا لأول مرة في مرجع عاش صاحبه زمن الأيوبيين بعد العادل الأول ، وزمن المماليك حتى بيبرس الأول ، وتقلب في بيئتهم ، واستمدت من هذه البيئة وهو يكتب كتابه . لذا يأتي ابن واصل في مقام ابن الأثير وابن شداد ، وابن الجوزي وسبطه ، والقاضي الفاضل وابن العديم ، والحنبلي والصفدي ، مضافاً إليه أن ابن واصل انفرد عن السابقين واللاحقين من هؤلاء وأولئك بأن كتابه جاء فيما جاء تاريخاً كاملاً للأيوبيين ، من أيوب أبي صلاح الدين إلى أيوب أبي تورانشاه آخر السلاطين الأيوبية في مصر ، فضلاً عما كتبه في الزنكيين في الشرق الأوسط ، وفي سلاطين المماليك وقيامهم بعد الأيوبيين في مصر والشام ( انظر ص ٥ — ٨ من المقدمة ) .

ففي الصفحات الخاصة بالزنكيين مثلاً تصوير لطيف لشخصية زنكي ، وكأن ابن واصل هنا أمسك بريشة مصور لا قلم كاتب مؤرخ ( ص ١٠٠ — ١٠٦ ) .

وفي الصفحات الخاصة بنور الدين بن زنكي أبلدع ابن واصل التصوير مرة أخرى ( ص ٢٦٣ — ٢٧٩ ) ، وهو في الحالين ناقل مقلد لابن الأثير ومعاصريه ، ولكنه مبدع مبتكر على أية حال ، بالمفاضلة والموازنة بين ما توفر اليديه من المراجع .

وبهذا الجزء الأول من مفرج الكروب كذلك إشارات إلى أصول الأيوبيين وحركاتهم الأولى في سبيل بناء دولة ، وأهمها عندي فعل " ماضٍ مبنٍ للمجهول

اختفى ابن واصل وراءه ، ليشير إلى قصة تسليم أيوب لأخيه شيركوه مدينة دمشق ، تنفيذاً لاتفاق سابق بين الأخين ، دون أن يعلم به أصحاب دمشق إلا بعد فوات الأوان . ( ص ٣ ، ٩ - ١١ ، ١١٠ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ) . ومن هذه الإشارات الخاصة بأصول الأيوبيين كذلك إشارة إلى صفات المضاء والعزيمة في صلاح الدين ( ص ١٧٥ ، ١٦٣ ) ، وإلى صفات السرعة والصرامة التي اتصف بها عمه شيركوه ، حين أقطع البلاد المصرية للعساكر التي قدمت معه ، وجعل صلاح الدين مباشراً للأمر كلها ، وذلك غداة تولية شيركوه الوزارة الفاطمية . ( ص ١٦٥ ) . وكل هذه الإشارات تضيف إلى ما أورده مستشرق معروف بصائد أصول الأيوبيين ، وبصدد أسرار نجاحهم في تكوين دولة . انظر (Minorsky. Studies in Caucasian History) وفي هذا الجزء الأول من ابن واصل إشارات تنبيهية إلى تطور الإقطاع الإسلامي ( ص ١٠١ ، ١٥٠ ، ٢٨٠ ) ، وإلى طريق الإغارات على مصر من ناحية فلسطين ، وهو طريق قلعة صدر والسويس . ( ص ١٣٨ ) .

وإذ عني الناشر عناية واضحة بتنبيه القارئ إلى هذه الإشارات ، وغيرها من مواضع الأهمية التاريخية والوثائقية ( انظر ص ١٧ ) ، وهي مواضع سوف ينتفع بها الباحثون قبل أن ينتهي هو من نشر هذا الكتاب ، فلا أقل من تصفية شكره وتكريره - لا تكراره - على توفيقه الذي غدا برهاناً دامغاً دالاً على أن دستور النشر أصبح محترماً في مصر ، بين أيدي بعض الأمناء المخلصين للأجيال القادمة ، في مصر والشرق الأوسط .

محمد مصطفى زيادة

جزوب  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ